مقامات
بديع الزمان الهمذاني

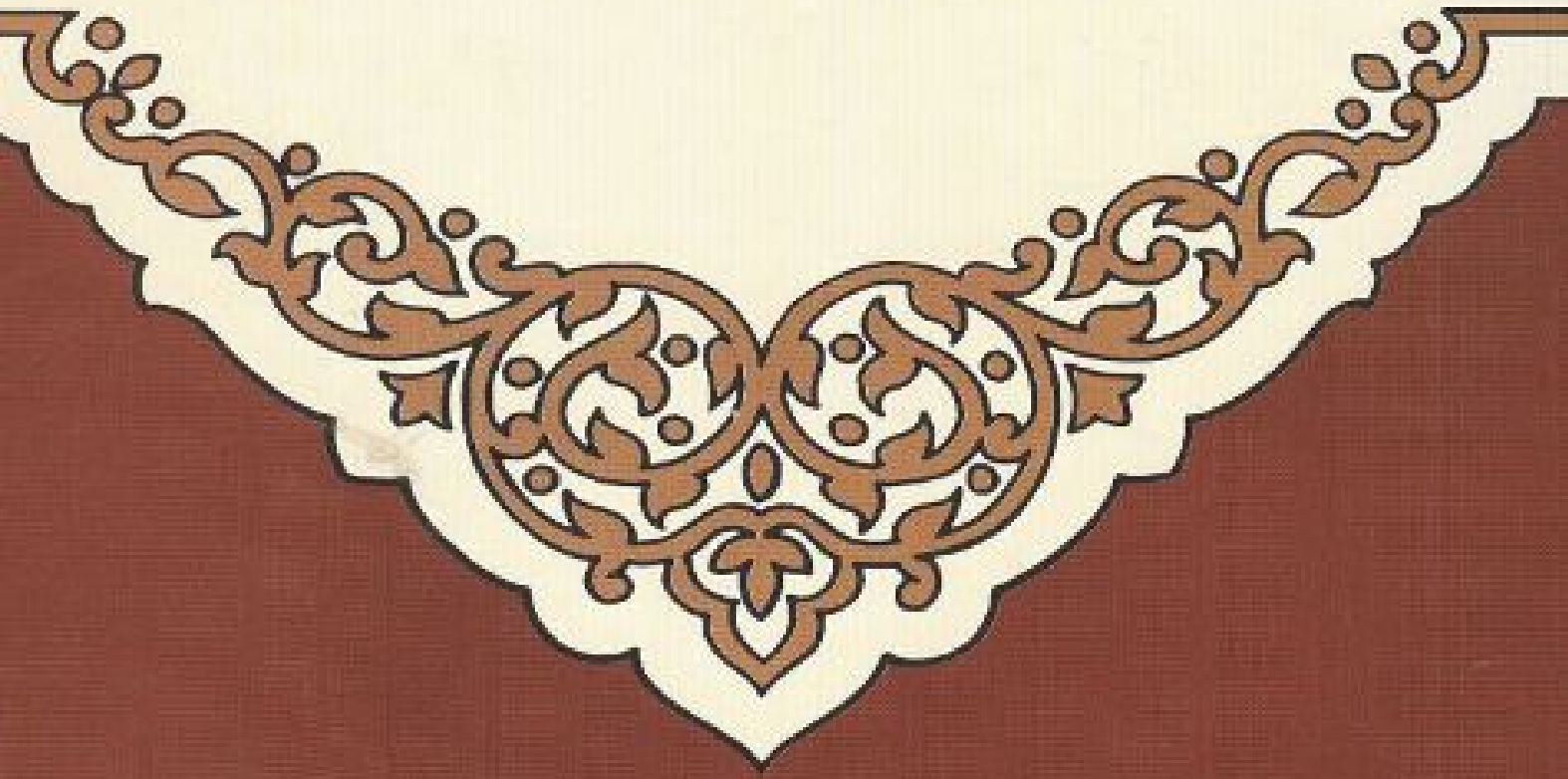

قدّم له وعلّق عليه وشرحه

الدكتور علي بوملحم

دار ومكتبة الهلال

الْمَقَامَةُ ٱلْقَرِيضِيَّةُ(١)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ(٢) قَالَ:

طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى مَطَارِحَهَا(٣) حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَان ٱلأَقْصَى(٤). فَٱسْتَظْهَرْتُ(٥) عَلَى ٱلأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ ٱلْعِمَارَةِ، وَأَمْوَالٍ

(١) المقامة القريضية: المقامة الشعرية، نسبةً إلى القريض أي الشعر، لأنها تدور حول بعض الشعراء وتتضمن أحكاماً نقدية على أشعارهم. والمقامة أحد فنون النثر العربي، عبارة عن حديث قصصي السياق يحكى في مجلس من المجالس.

(٢) عيسى بن هشام: راوية مقامات بديع الزمان الهمذاني، شخصية اخترعها الهمذاني ونسب إليه مقاماته، ويرد ذكره في جميع المقامات.

(٣) النوى: الغربة. وطرحتني النوى: أبعدتني إلى بلاد بعيدة.

(٤) وطئت جرجان الأقصى: دست أرضها برجلي، دخلت مدينة جرجان وهي عاصمة بلاد خوارزم قديماً.

(٥) استظهرت: استعنت.

وَقَفْتُهَا عَلَى التُّجَارَةِ، وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً[1]، وَرُفْقَةٍ آتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً، وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ، حَاشِيَتَي النَّهَارِ[2]، وَلِلحَانُوتِ بَيْنَهُمَا، فَجَلَسْنَا يَوْماً نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ، وَتِلْقَاءَنَا[3] شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حَتَّى إِذَا مَالَ ٱلكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرَّ الْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ[4]، قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ، وَوَافَيْتُمْ جُذَيْلَهُ[5]، وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ، وَلَوْ قُلْتُ لأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ[6]، وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ ٱلصُّمَّ، وَيُنْزِلُ ٱلْعُصْمَ، فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ آذْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ، وَهَاتِ فَقَدْ أَتْنَيْتَ، فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ.

فَقُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي امْرِىءِ الْقَيسِ؟[7] قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا[8]، وَٱغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا[9]، وَوَصَفَ الخَيْلَ

---

(١) مثابة: مكان الإقامة.

(٢) حاشيتي النهار: طرفي النهار، أي صباحه ومساؤه.

(٣) تلقاءنا: قبالتنا.

(٤) جرّ الجد فينا ذيله: جرى بيننا نقاش.

(٥) قد أصبتم عذيقه ووافيتم جذيله: العذيق تصغير العذق أي النخلة وثمارها. والجذيل تصغير الجذل أي العود الذي يحك به الأجرب جلده. والمعنى أنكم أدركتم صاحب البيان الذي تنشدونه. وربما نظر الهمذاني في هذه العبارة إلى القول المأثور عن الحباب بن المنذر «أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحلك».

(٦) أصدر وأورد: رجع عن الماء وأتاه. والمعنى أنه يقدم الكلام ويؤخره أو يتصرف فيه كما يشاء.

(٧) امرؤ القيس: شاعر جاهلي فحل من أصحاب المعلقات العشر. لها في شعره وتغزل ووصف. امتاز قريضه بجودة السبك والجزالة وحسن التشبيه.

(٨) عرصات الديار: باحاتها.

(٩) وكنات الطير: أعشاشها.

بِصِفَاتِهَا، وَلَمْ يَقُلِ ٱلشِّعْرَ كَاسِباً، وَلَمْ يُجِدِ ٱلْقَولَ رَاغِباً[1]، فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ، وَٱنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ[2]، قُلْنَا: فَما تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟[3]، قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنِق، وَيَمْدَحُ إِذا رَغِب، وَيَعْتَذِرُ إِذا رَهِبَ، فَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِباً، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟[4] قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ يُذِيبُهُ، وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ[5]. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ[6]؟ قَالَ: هُوَ مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا، وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا، مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ، وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ[7]

---

(١) أي لم يتكسب في شعره.

(٢) أي لم يتحرك طلباً للعطاء.

(٣) هو النابغة الذبياني: شاعر جاهلي فحل نصب حكماً في سوق عكاظ، من أصحاب المعلقات العشر، يدور شعره حول السياسة والمديح والهجاء والرثاء والفخر والغزل والاعتذار. وقد أشار الهمذاني إلى بواعث شعره الهامة وهي الغضب الذي يدفعه إلى الهجاء، والرغبة التي تحمله على المديح، والخوف الذي يجري به إلى الاعتذار.

(٤) هو زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر جاهلي فحل، ومن أصحاب المعلقات العشر، امتاز شعره بالمتانة والرصانة والحكمة والتنخل، فلقب بحكيم الجاهلية لدعوته إلى السلام والتعقل.

(٥) يعني أن شعر زهير يتسم بالعذوبة والسلاسة وقوة التأثير أو السحر.

(٦) هو طرفة بن العبد البكري، من شعراء الجاهلية الفحول وأصحاب المعلقات العشر، توفي في السادسة والعشرين من عمره ونظم الشعر مبكراً، ودعا إلى مذهب اللذة في الحياة.

(٧) جرير: هو جرير بن عطية بن الخطفي التميمي أحد شعراء المثلث الأموي الذي يضمه مع الأخطل التغلبي والفرزدق التميمي. استعرت بينهم حرب هجائية شغلت عصرهم ودعت للمفاضلة بينهم. والهمذاني يدلو بدلوه فيرى أن جريراً أرق شعراً وأغزر معنى وأوجع هجاء وأشجى نسيباً وأسنى مديحاً. أما الفرزدق فكان أمتن مبنى وأكثر فخراً وأوفى وصفاً.

وَالْفَرَزْدَقِ؟[1] أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْراً، وَأَغْزَرُ غَزْراً، وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْراً، وَأَكْثَرُ فَخْراً، وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْواً، وَأَشْرَفُ يَوْماً، وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْماً، وَأَكْرَمُ قَوْماً، وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى، وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى، وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى، وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى، وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى، وَإِذَا وصَفَ أَوْفَى، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظاً. وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا، وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعاً، وَأَرَقُّ نَسْجاً، قُلْنَا: فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ، وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ، قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ واحِدٍ، وَقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا ... مُمْتَطِياً فِي الضُّرِّ أَمْراً مُرَّا[2]
مُضْطَبِناً عَلَى اللَّيَالِي غِمْرَا ... مُلاَقِياً مِنْهَا صُرُوفاً حُمْرَا[3]
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِالأَمَانِي دَهْرَا[4]
وَكَانَ هٰذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا ... وَمَاءُ هٰذَا الْوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا[5]

---

(١) الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي عاش في القرن الأول الهجري في العصر الأموي، واتصل بالخلفاء ومدحهم شأنه شأن الأخطل وجرير، ولكنه مدح أيضاً زين العابدين علي بن الحسين في ميميته المشهورة.

(٢) أتغشى طمراً: ارتدي ثوباً بالياً. وممتطياً أمراً مراً: راكباً العسرة.

(٣) مضطبناً: حاملاً. غمراً: حقداً. الصروف الحمر: النوازل الشديدة.

(٤) الشعرى: نجم في السماء يظهر عند الفجر. يريد أن يقول انه يتطلع إلى انتهاء الليل ليتخلص من الأرق.

(٥) هذا الحر: يعني نفسه، إنه كان سيداً عالي القدر لا يريق ماء وجه مستعطياً. وكان يعيش في السراء بايوان كسرى ودارا من ملوك الفرس. ولكن الدهر قلب له ظهر المجن وتنكر له فغدا فقيراً معدماً، ولولا امرأته العجوز وأولاده الصغار المقيمون بسر من رأى لقتل نفسه.

ضَرَبْتُ لِلسِّرِّ قِبَاباً خُضْرَا ... فِي دَارِ دَارَا وَإِوَانِ كِسْرَى
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظَهْرَا ... وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِيَ إِلَّا ذِكْرَا ... ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرَّا
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا ... وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا ... قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ[1]، وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ، فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ[2]، وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ، ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ، فَقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللهِ، فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفاً، وَوَافَانَا جِلْفاً[3]، وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ، ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ، وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ[4]؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا؟ فَضحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورُ ... فَلَا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً، وَلَكِنْ ... دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

---

(١) ما تاح: ما تيسر وأمكن.
(٢) أنفيه وأثبته: أنفي معرفته وأثبتها.
(٣) الخشف: ولد الظبية، والجلف: الغليظ. يعني أنه فارقهم صغيراً بهيَّ المنظر كولد الظبية، وغدا اليوم غليظاً.
(٤) أبو الفتح الإسكندري: بطل مقامات الهمذاني، وهو شخصية وهمية اخترعها بديع الزمان ونسب إليه هذه الأعمال والأقوال والصفات.

٢

الْمَقَامَةُ الأَزَاذِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كُنْتُ بِبَغْدَاذَ[١] وَقْتَ الأَزَاذِ[٢]، فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ[٣] مِنْ أَنْوَاعِهِ لِابْتِيَاعِهِ، فسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَواكِهِ وَصَنَّفَهَا وَجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطَبِ وَصَفَّفَهَا، فَقَبَضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ، وَقَرَضْتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَجْوَدَهُ، فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ الإِزَارِ، عَلى تِلْكَ الأَوْزَارِ أَخَذَتْ عَيْنَايَ رَجُلاً قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ بِبُرْقُعٍ حَيَاءً، وَبَسَط يَدَهُ، وَاحْتَضَنَ عِيَالَهُ، وَتَأَبَّطَ أَطْفَالَهُ، وَهوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ يَدْفَعُ الضَّعْفَ في صَدْرِهِ، وَالْحَرَضَ في ظَهْرِهِ[٤]:

---

(١) بغذاذ: بغداد، عاصمة العراق.

(٢) الأزاذ: نوع من التمر.

(٣) اعتمام: أقصد.

(٤) الحرض: الضعف الشديد.

وَيْلِي عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ أَوْ شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ[1]
أَوْ قَصْعَةٍ تُمْلَأُ مِنْ خُرْدِيقِ يَفْتَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ[2]
يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ يَا رَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ
سَهِّلْ عَلَى كَفِّ فَتًى لَبِيقِ ذِي نَسَبٍ فِي مَجْدِهِ عَرِيقِ
يَهْدِي إِلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ[3]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَخَذْتُ مِنَ الْكِيسِ أُخْذَةً وَنُلْتُهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ:

يَا مَنْ عَنَانِي بِجَمِيلِ بِرِّهِ أَفْضِ إِلَى اللهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ
وَاسْتَحْفِظِ اللهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ إِنْ كَانَ لَا طَاقَةَ لِي بِشُكْرِهِ
* فَاللهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَجْرِهِ *

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فِي الْكِيسِ فَضْلًا فَأَبْرُزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ أُخْرُجْ إِلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ، فَأَمَاطَ لِثَامَهُ[4]، فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ أَيُّ دَاهِيَةٍ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

فَقَضَّ الْعُمْرَ تَشْبِيهًا عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا
أَرَى الأَيَّامَ لا تَبْقَى عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا
فَيَوْماً شَرُّهَا فِيَّ وَيَوْماً شِرَّتِي فِيهَا[5]

---

(١) السويق: جريش الشعير أو القمح المقلي. وإذا خلط الشحم بالدقيق سمى عصيدة.

(٢) الخرديق: المرق. يفتأ: يسكن.

(٣) الترنيق: التكدير. يريد أن يقول انه يتلهف على فتى كريم يسد عوزه وينشله من قارعة الطريق.

(٤) أماط لثامه: كشف الحجاب عن وجهه.

(٥) إنه يعارك الأيام فتسومه يوماً شرها، ويفعل يوماً فعلته فيها.

٣

الْمَقَامَةُ الْبَلْخِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

نَهَضَتْ بي إِلَى بَلْخَ[١] تِجَارةُ الْبَزِّ[٢] فَوَرَدْنُهَا وَأَنَا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الْفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ، لَا يُهِمُّنِي إِلَّا مُهْرَة فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا، أَوْ شَرُود مِنَ الْكَلِم أَصِيدُها، فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي، أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِي، وَلَمَّا حَنَى الْفِرَاقُ بِنَا قَوْسَهُ أَوْ كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ في زِيِّ مِلْءِ الْعَيْنِ، وَلحْيَةٍ تَشُوكُ الاخْدَعَيْنِ[٣]، وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ ماءَ الرَّافِدَيْنِ، وَلَقِيَنِي مِنَ الْبِرِّ في السِّنَاءِ[٤]، بِمَا زِدْتَهُ في الثَّنَاءِ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) بلخ: مدينة ايرانية على نهر جيحون.

(٢) البز: الثياب المصنوعة من القطن خاصة.

(٣) الأخدعان: عرقان في العنق.

(٤) السناء: المقابلة والمداناة.

أَظَعْناً[1] تريدُ؟ فَقُلْتُ: إِيْ وَاللهِ، فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ، وَلَا ضَلَّ قَائِدُكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ، فَقَالَ:

صَبَاحُ اللهِ لَا صُبْحُ آنْطِلَاقٍ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لَا طَيْرُ الفِرَاقِ

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: الوَطَنَ، فَقَالَ: بُلِّغْتَ الْوَطَنَ، وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ، فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قُلْتُ: الْقَابِلَ، فَقَالَ: طَوَيْتُ الرَّيْطَ، وَثَنَيْتَ الخَيْطَ[2]، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الكَرَمِ؟ فَقُلْتُ: بِحَيْثُ أَرَدْتَ، فَقَالَ: إِذا أَرْجَعَكَ الله سَالِماً مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، فَاسْتَصْحِبْ لي عَدُوًّا في بُرْدَةِ صَدِيقٍ، مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ، يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ، كَدَارَةِ العَيْنِ، يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ، ويُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ[3].

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْتُ أَنَّه يَلْتَمِسُ دِينَاراً، فَقُلْتُ: لَكَ ذٰلِكَ نَقْداً، وَمِثْلُهُ وَعْداً، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

رَأْيُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لَا زِلْتَ لِلمَكْرُمَاتِ أَهْلَا
صَلُبْتَ عُوداً، وَدُمتَ جُوداً وَفُقْتَ فَرْعاً، وَطِبْتَ أَصْلَا
لا أَسْتَطِيعُ العَطَاءَ حَمْلاً وَلَا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلَا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلَا
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلَا[4]

---

(١) الظعن: السفر.

(٢) طويت الريط وثنيت الخيط؛ الريط: الملاءة. والعبارة تعني الدعاء له بالعودة إلى بلخ في قابل الأيام، إذ يطوي أيام البعد ويثني خيط الفراق.

(٣) يصف هنا الدينار فهو عدو صديق، أصفر اللون، يسهل لصاحبه ارتكاب الآثام، ويحمله الصيارفة على رؤوس أناملهم لينقدوه، وهو مستدير كالعين، وله وجهان مختلفان.

(٤) الرجمة: السناد. يقول: إنك كريم أعطيتني أكثر مما طلبت وأملت، دمت للعطاء وزكا أصلك.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَنُلْتُهُ الدِّينَارَ، وَقُلْتُ: أَيْنَ مَنْبِتُ هٰذَا الْفَضْلِ؟ فَقَالَ: نَمَتْنِي قُرَيْشٌ وَمُهِّدَ لِيَ الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ؟ أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ، تَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، مُكَدِّياً بِالأَوْرَاقِ[1]؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِنَّ لِلّٰهِ عَبِيداً أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطَا
فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَا باً، وَيُضْحُونَ نَبِيطَا[2]

---

(١) مكدياً بالأوراق: سائلاً الناس العطاء بأن يكتب أوراقاً يفصح فيها عن حاجته.

(٢) النبيط: قوم من العجم كانوا يسكنون بين العراقين. والمعنى أن الناس متقلبون مع الأيام لا يثبتون على حال.

٤

الْمَقَامَةُ السِّجِسْتَانِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ[١] أَرَبٌ، فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ[٢]، وَامْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ، وَاسْتَخَرْتُ اللهَ فِي الْعَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي، وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي، حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا، فَوافَيْتُ دُرُوبَهَا وقَدْ وَافَتِ الشَّمسُ غُرُوبَهَا، وَاتَّفَقَ الْمبِيتُ حَيْثُ انْتَهَيْتُ، فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ، وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ[٣]، مَضَيْتُ إِلَى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلاً، فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْبَلَدِ إِلَى نُقْطَتِهَا[٤]، وَمِنْ قِلَادَةِ السُّوقِ إِلَى وَاسِطَتِهَا، خَرَقَ سَمْعِي

---

(١) سجستان: منطقة في بلاد فارس.

(٢) اقتعدت طيته: ركبت نيته، أي عزمت السفر إليه.

(٣) أي طلع الصباح.

(٤) نقطة دائرة البلد: مركزها.

صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَعْنًى، فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ[1] حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ، مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ[2]، قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ[3]، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي: أَنَا بَاكُورَةُ الْيُمْنِ[4] وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ[5]، أَنَا أُدْعِيَةُ الرِّجَالِ، وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ[6]، سَلُوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا، وَالْجِبَالَ وَحُزُونَهَا[7]، وَالأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا، وَالبِحَارَ وَعُيُونَهَا، وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا، مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا، وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا، ونَهَجَ سَمْتَهَا، وَوَلَجَ حَرَّتَهَا[8]؟ سَلُوا الْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا، وَالأَغْلَاقَ[9] وَمَعَادِنَهَا، وَالأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا، وَالعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا، وَالخُطُوب وَمَغَالِقَهَا، وَالحُرُوبَ وَمَضَايِقَهَا، مَنِ الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا، وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا؟ وَمَنِ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا، وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا؟ أَنَا وَاللهِ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الصِّيدِ[10]، وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الخُطُوبِ السُّودِ، أَنَا وَاللهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ، وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الأَحْدَاقِ، وَهَصَرْتُ الْغُصُونَ النَّاعِمَاتِ[11]، وَأَجْتَنَيْتُ وَرْدَ الخُدُودِ

(١) انتحيت وفده: قصدت أن أفد إليه.

(٢) مختنق بنفسه: مختنق الأنفاس جياش بها.

(٣) القذال: مؤخر الرأس.

(٤) باكورة اليمن: أول السعد، إشارة إلى اسمه أبي الفتح.

(٥) أحدوثة الزمن: حديث الناس لشهرته وذيوع صيته.

(٦) ربات الحجال: النساء. إنه لغز يحتاج إلى حل من قبل النساء.

(٧) حزونها: مرتفعاتها.

(٨) الحرة: القطعة المستديرة من الأرض.

(٩) الأعلاق: الأقفال التي توصد بها الأبواب. والأصح أن تكون الأغلاق: أي الحلي.

(١٠) سفر بين الملوك الصيد: سعى للصلح بين الملوك الشجعان الأكارم. فهو رجل ذو شأن ومكانة.

(١١) هصر الغصون الناعمات: أمالها وأحناها. يريد أنه أحب النساء وعانقهن.

الْمُوَرَّدَاتُ، ونَفَرْتُ مَعَ ذٰلِكَ عَنِ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنِ وُجُوهِ اللِّئَامِ، وَنَبَوْتُ[1] عَنِ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ، وَالآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ، وَعَلَّتْنِي أُبَّهَةُ الْكِبَرِ، عَمَدْتُ لإِصْلَاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ، فَلَمْ أَرَ طَرِيقاً أَهْدَى إِلَى الرَّشَادِ مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ، يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ، نَاثِرَ هَوَسٍ[2]، يَقُولُ: هٰذَا أَبُو الْعَجَبِ، لَا وَلٰكِنِّي أَبُو الْعَجَائِبِ، عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا، وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وقَاسَيْتُهَا، وَأَخُو الأَعْلَاقِ: صَعْباً وَجَدْتُهَا، وَهُوْناً أَضَعْتُهَا، وَغَالِياً اشْتَرَيْتُهَا، وَرَخِيصاً ابْتَعْتُهَا[3]، فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ، وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ، وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ، وَأَنْضَيْتُ الْمَرَاكِبَ، دُفِعْتُ إِلَى مَكَارِهَ نَذَرْتُ مَعَهَا أَلَّا أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا، وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ[4] هٰذِهِ الأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُم، وَأَعْرِضَ دَوَائِي هٰذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ، فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لَا يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ، وَلَا يَانَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنجَبَتْ جُدُودُهُ، وَسُقِيَ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ لأَعْلَمَ عِلْمَه فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، وَانْتَظَرْتُ إِجْفَالَ النُّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[5]، ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلتُ: كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هٰذَا؟ فقَالَ: يُحِلُّ الْكِيسُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

---

(١) نوت: ابتعدت.

(٢) ناثر هوس: ينثر كلاماً خفيفاً.

(٣) الأعلاق: الحلي التي تعلق للزينة.

(٤) الربقة: الحبل المعقد. يريد أنه ينقل هذه المهمة إلى سواه من الناس.

(٥) أجفال النعامة: تفرق عامة الناس عنه.

٥

الْمَقَامَةُ الْكُوفِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كُنْتُ وَأَنَا فَتِيُّ السِّنِّ أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ[١]، وَأَرْكُضُ طِرْفِي إِلَى كلِّ غَوَايَةٍ، حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِغَهُ، وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِغَهُ[٢]، فَلَمَّا انْصَاحَ النَّهَارُ[٣] بِجَانِبِ لَيْلِي، وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ ذَيْلِي، وَطِئْتُ ظَهْرَ الْمَرُوضَةِ، لأداءِ الْمَفْرُوضَةِ[٤]، وَصَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرَهُ مِنْ سُوءٍ، فَلَمَّا تَجَالَيْنَا[٥]، وخَبَّرْنَا بِحَالَيْنَا، سَفَرَتِ[٦] الْقِصَّةُ

(١) أشد رحلي لكل عمياء، اقترف أو أقصد كل شهوة عمياء ويرادفها الجملة التالية: وأركض طرفي إلى كل غواية.

(٢) يريد أنه تمتع في حياته وشبع من الملذات.

(٣) انصاح النهار: طلع أو ظهر، ويعني أن الشيب ظهر إلى جانب سواد الشعر.

(٤) أي ركب الدابة لأداء فريضة الحج.

(٥) تجالينا: تكاشفنا.

(٦) سفر: وضح.

عَنْ أَصْلٍ كُوفِيّ، وَمَذْهَب صُوفِيّ[1]، وَسِرْنَا فَلَمَّا أَحَلَّتْنَا الكُوفَةُ مِلْنَا إِلَى دَارِهِ، وَدَخَلْنَاهَا وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ وَاخْضَرَّ جَانِبُهُ[2]. وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شَارِبُهُ[3]، قُرِعَ عَلَيْنا البَابُ، فَقُلْنَا: مَنِ الْقَارِعُ الْمُنْتَابُ؟ فقالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ، وَفَلُّ الجُوْعِ وَطَرِيدُهُ[4]، وَحُرٌّ قَادَهُ الضُّرُّ، وَالزَّمَنُ المُرُّ، وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ، وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ، وَجَارٌ يَسْتَعدِي عَلَى الجُوعِ، وَالْجَيْبِ الْمَرْقُوعِ، وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ، وَنَبَحَ العَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ، وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الْحُصَيَّاتُ، وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصَات[5]، فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ[6]، وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ، وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[7].

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ، وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ: زِدْنَا سُؤَالاً، نَزِدْكَ نَوَالاً، فَقَالَ مَا عُرِضَ عَرْفُ الْعُودِ، عَلَى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الجُودِ، وَلَا لُقِيَ وَفْدُ الْبِرِّ، بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ،

---

(١) أي هو من الكوفة المدينة العراقية المشهورة، وهو صوفي المذهب. والمتصوفة جماعة من المفكرين يقولون ان معرفة الله لا تتأتى عن طريق العقل بل عن طريق الحدس والرؤية. وتحصل هذه الرؤية لله عندما تصفو نفس الإنسان بالرياضة وقهر الجسد وشهواته، وبذكر الله والانصراف إلى العبادة والتأمل.

(٢) بقل وجه النهار: اخضر عند الغروب.

(٣) اغتمض جفن الليل وطر شاربه: جنّ الليل وظهر.

(٤) فل الجوع وطريده: المنهزم من الجوع.

(٥) يريد أنه ضيف خفيف المؤونة لا يبغي أكثر من رغيف يخلصه من الجوع. وانه غريب تنبح عليه الكلاب، ويرمى بالحصى، وتكنس الدار تنظيفاً لها من أثره.

(٦) نضوه طليح: بعيره تعب.

(٧) مهامه فيح: صحارى واسعة.

وَمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ، فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[1]، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ، وَجَعَلَ الْيَدَ الْعُلْيا لَكَ.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وَقُلْنَا: ادْخُلْ، فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: يا أَبَا الْفَتْحِ، شَدَّ مَا بَلَغَتْ مِنْكَ الْخَصَاصَةُ. وَهٰذَا الزِّيُّ خَاصَّةً، فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَا يَغُرَّنَّكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تُشَـ ـقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْ تُ سُقُوفاً مِنَ الذَّهَبْ

---

(١) أي لا يضيع المعروف بين الله والناس. وهو الشطر الثاني من بيت الحطيئة:
من يصنع الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

٦

الْمَقَامَةُ الأَسَدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النُّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ الْعُصْفُورُ[١]، وَيُرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً، وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الْكَهَنَةِ دِقَّةً[٢]، وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بَقَاءَهُ، حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ، وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ، مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ، وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهُ، بِأَسْدَادٍ دُونَهُ، وَهَلُمَّ جَرًّا[٣]، إِلَى أَن اتَّفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِحِمْصَ، فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحِرْصَ، فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ، أَحْلَاسٍ لِظُهُورِ الخَيْلِ[٤]، وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ،

---

(١) ينتفض له العصفور: يهتز طرباً وتأثراً.

(٢) أوهام الكهنة: معاني كلام الكهنة الغامضة.

(٣) يريد أن الزمن عاكسه ومنعه من تحقيق أمانية بأسداد أقامها في طريقه.

(٤) أحلاس لظهور الخيل: ملازمون لها.

فَنَسْتَأْصِلُ شأْفَتَهُ، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ ٱلنِّجَادِ[1]، بِتِلْكَ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَ كَالعِصِيِّ، وَرَجَعْنَ كَالْقِسِيِّ، وَتَاحَ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلَاءٍ وَأَثْلٍ[2]، كالْعَذَارىٰ يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الْغَدَائِرَ، وَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا، وَنَزَلْنَا نُغَوِّرُ وَنَغُورُ[3]، وَرَبَطْنَا الأَفْرَاسَ بِالأَمْرَاسِ، وَمِلْنَا مَعَ النُّعَاسِ، فَمَا رَاعَنَا إِلَّا صَهِيلُ الْخَيْلِ، وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ، وَطَمَحَ بِعَيْنَيْهِ، يَجُذُّ قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ[4]، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الأَبْوَالَ، وَقَطَّعَتِ الْحِبَالَ، وَأَخَذَتْ نَحْوَ الْجِبَالِ، وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ؛ فَإِذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ، قَد طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِخاً فِي إِهَابِهِ[5]، كاشِراً عَنْ أَنْيَابِهِ، بِطَرْفٍ قَدْ مُلِيءَ صَلَفاً، وَأَنْفٍ قَدْ حُشِيَ أَنَفاً، وَصَدْرٍ لَا يَبْرَحُهُ الْقَلَقُ، وَلَا يَسْكُنُه الرُّعْبُ، وَقُلْنَا خَطْبٌ مُلِمٌّ، وَحَادِثٌ مُهِمٌّ، وَتَبَادَرَ إِلَيْهِ مِنْ سُرْعَانِ الرُّفْقَةِ فَتًى:

أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبْ يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلى عَقْدِ الْكَرَبْ[6]

---

(١) نفري أسنمة النجاد: نقطع ظهور المرتفعات.

(٢) تاح: تهيأ. آلاء: شجر مر جميل. أثل: شجر كبير دون ثمر. شبه النساء بهذه الأشجار التي تتدلى أغصانها كشعرهن.

(٣) الهاجرة: شدة الحر عند منتصف النهار. نغوِّر: ننزل الغور، أي الأرض المستوية. نغور: ننام.

(٤) جذَّ: قطع. خدَّ: شق. خد الأرض: ظهرها أو وجهها.

(٥) الاهاب: الجلد.

(٦) هذا البيت مأخوذ من بيتين للفضل بن العباس المهلبي هما:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدَرٌ، وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثَرٌ[1]، وَمَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الأَسَدِ فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ[2]، وَتَجَاوَزَ الأَسَدُ مَصْرَعَهُ، إِلى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَدَعَا الحَيْنُ أَخَاهُ[3]، بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ، فَصَارَ إِلَيْهِ، وَعَقَلَ الرُّعْبُ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ أَرْضَهُ، وَافْتَرَشَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ، وَلَكِنِّي رَمَيْتُهُ بِعِمَامَتِي، وَشَغَلْتُ فَمَهُ، حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ، وَقَامَ الْفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ، حَتَّى هَلَكَ الْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ، وَالأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ فِي جَوْفِهِ[4]، وَنَهَضْنَا فِي أَثَرِ الْخَيْلِ فتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَا ثَبَتَ، وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ، وَعُدْنَا إِلَى الرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ:

فَلَمَّا حَثَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزِعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ

وَعُدْنَا إِلى الْفَلاَةِ، وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا، وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمِرَتِ الْمَزَادُ، ونفِدَ الزَّادُ أَوْ كادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ[5]، وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلاَ الرُّجُوعَ، وَخُفْنَا الْقَاتِلَيْنِ الظَّمَأَ وَالجُوعَ، عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ[6]، وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ، وَلَمَّا بَلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسِهِ يَنْقُشُ الأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ، وَيَلْقِي التُّرَابَ بِيَدَيْهِ، وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ، فَقَبَّلَ رِكَابِي، وَتَحَرَّمَ بِجنَابِي، وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ، وَقَوَامٌ مَتَى ما تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ، وَعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ[7]،

---

(١) أثر السيف: فرنده.

(٢) سورة الأسد: حدته. سقط ليده وفمه: انكب على وجهه.

(٣) الحين: الموت.

(٤) حقنت دمه: نجا من الموت. وجأ بطنه: بقرها. أي مات الأسد لأنه شق بطنه، ومات الفتى جزعاً.

(٥) ضمرت المزاد: المزاد جمع مزادة أي القربة، وضمرت: التصق جلدها بعضه ببعض. والمعنى: نفد ماؤها.

(٦) عنَّ لنا فارس: ظهر فارس. صمدنا: قصدنا.

(٧) العارض: الخد. اخضر: ظهر شعره.

وَشَارِبٌ قَدْ طَرَّ، وَسَاعِدٌ مَلآنُ، وَقَضِيبٌ رَيَّانُ، وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ، وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ، فَقُلْنَا: مَالَكَ لاَ أَبَا لَكَ؟ فَقَال: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ الْمُلُوكِ، هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ، فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرانِي، وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ، عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ، ثُمَّ قَال: أَنا الْيَومَ عَبْدُك، وَمالِي مَالُكَ، فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ، ادَّاكَ سَيْرُكَ إِلى فِنَاءٍ رَحْبٍ، وَعَيْشٍ رَطْبٍ، وَهَنَّأَتْنِي الْجَمَاعَةُ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقْتُلُنَا أَلْحَاظُهُ، وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا أَلْفَاظُهُ، فَقَال: يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْناً، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلاَةً عَوْرَاءَ[1]، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ، فَلَوَيْنَا الأَعِنَّةَ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ، وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الْهَاجِرَةُ الأَبْدَانَ، وَرَكِبَ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ، فَقَالَ: أَلاَ تَقِيلُونَ فِي الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلَى هٰذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ وَذَاكَ[2] فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ، وَنَحَّى قُرْطَقَتَهُ[3]، فَمَا اسْتَتَرَ عَنَّا إِلاَّ بِغِلاَلَةٍ تَنِمُّ عَنْ بَدَنِهِ، فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الْوِلْدَانَ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ، وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ[4]، وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَخَطَّهَا، وَإِلَى الأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا[5]، وَإِلَى الأَمْكِنَةِ فَرَشَّهَا، وَقَدْ حَارَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ، وَوَقَفَتِ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الْخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الْجُمْلَةِ، فَالْوَيْلُ لَمِنْ فَارَقْتَهُ، وَطُوبَى لَمِنْ رَافَقْتَهُ، فَكَيْفَ شُكْرُ الله عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ، أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الْخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الْجُمْلَةِ؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الوقعة؟ أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِي

---

(١) ركبتم فلاة عوراء: سرتم في أرض لا عين فيها.

(٢) أنت وذاك: لك ذلك.

(٣) حل منطقته: حل حزامه. نحّى قرطقته: خلع لباسه.

(٤) يريد أنه أحد ولدان الجنة التي يحرسها رضوان.

(٥) حش الأفراس: قدم لها الحشيش.

طُرَفَا، لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفاً؟ فَقُلْنَا: هَات، فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ، وَفَوَّقَ سَهْماً فَرَمَاهُ فِي السَّماءِ[1]، وَأَتْبَعَهُ بِآخَر فَشَقَّهُ فِي الْهَوَاءِ، وَقَالَ: سَأُرِيكُمْ نَوْعاً آخَرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا، وَإِلَى فَرَسِي فَعَلاَهُ، وَرَمَى أَحَدَنا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ، وَآخَرَ طَيَّرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكَعُ[2]، وَاللهِ لَيَشُدَّنَّ كُلٌّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ، أَوْ لأُغِصَّنَّهُ بِرِيقِهِ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ، وَسُرُوجُنَا مَحْطُوطَةٌ، وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ، وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ، وَالْقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرْشُقُ بِهَا الظُّهُورَ، وَيَمْشُقُ بِهَا الْبُطُونَ وَالصُّدُورَ، وَحِينَ رَأَيْنَا الْجِدَّ، أَخَذْنَا الْقِدَّ[3]، فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبَقِيتُ وَحْدِي، لاَ أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي، فَقَالَ: اخْرُجْ بِإِهَابِكَ، عَنْ ثِيَابِكَ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَجَعَلَ يَصْفَعُ الوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ، وَيَنْزِعُ ثِيَابَهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ، فَقَالَ: اخْلَعْهُمَا لا أُمَّ لَكَ، فَقُلْتُ: هَذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْباً فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ، ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزِعَ الْخُفَّ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعِي فِي الْخُفِّ وَهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ، وَأَبَنْتُهُ مِنْ مَتْنِهِ[4]، فَمَا زَادَ عَلَى فَم فَغَرَه[5]، وَأَلْقَمَه حَجَرَهُ، وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَحلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ، وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ الْقَتِيلَيْنِ، وَأَدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ، وَصَارَ لِرَمْسِهِ[6]، وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ، وَوَرَدْنَا

---

(١) أوتر القوس: ركب له وتراً. فوّق السهم: سدده.

(٢) اللكع: الأحمق.

(٣) القد: رباط من الجلد

(٤) المتن: الظهر.

(٥) فغر فمه: فتحه.

(٦) الرمس: القبر.

حِمْصَ[1] بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنا إِلَى فُرْضَةٍ[2] مِنْ سُوقِهَا رَأَيْنَا رَجُلاً قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنٍ وَبُنَيَّةٍ، بِجِرَابٍ وَعُصَيَّةٍ، وَهُوَ يَقُولُ:

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهْيَ لاَ شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ هُوَ الإِسْكَنْدَرِيُّ الَّذي سَمِعْتُ بِهِ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ هُوَ، فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ[3]، وَقُلْتُ: احْتَكِمْ حُكْمَكَ[4]، فَقَالَ: دِرْهَمٌ، فَقُلْتُ:

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفَسْ
فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالْتَمِس كَيْمَا أُنِيلُ الْمُلْتَمَس

وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ فِي ثَلاَثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعِشْرِينَ، ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ؟ قَالَ: عِشْرُونَ رَغِيفاً، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا، وَقُلْتُ: لاَ نَصْرَ مَعَ الْخِذْلاَنِ، وَلاَ حِيلَةَ مَعَ الحِرْمَانِ[5].

---

(١) حمص: مدينة في بلاد الشام تقع شمالي دمشق.
(٢) الفرضة: الفرجة.
(٣) دلف إليه: سار نحوه.
(٤) احتكم حكمك: جعلت مالي تحت حكمك فخذ ما تشاء منه.
(٥) أي لشدة جوعه ابدل الرغيف بالدرهم.

مقامات الحريري

توزيع
دار الباز للنشر والتوزيع
عباس أحمد الباز
مكة المكرمة

اسم الله الرحمن الرحيم

أللّهُمّ إنّا نَحْمَدُكَ عَلى مَا عَلّمْتَ مِنَ البَيَانِ[1] . وَأَلهَمْتَ مِنَ التِّبْيَانِ . كَمَا نَحْمَدُكَ عَلى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ العَطَاءِ . وَأَسْبَلْتَ[2] مِنَ الغِطَاءِ . وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرّةِ اللّسَنِ . وَفُضُولِ الهَذَرِ. كَمَا[3] نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَعَرّةِ اللّكَنِ . وَفُضُوحِ الحَصَرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ[4] الافْتِتَانَ بِإِطْرَاءِ المَادِحِ . وَإِغْضَاءِ[5] المُسَامِحِ . كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الانْتِصَابَ لإِزْرَاءِ القَادِحِ . وَهَتْكِ الفَاضِحِ . وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ[6] سَوْقِ الشّهَوَاتِ[7] . إلى سُوقِ الشُّبُهَاتِ . كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الخَطَوَاتِ . إلى خِطَطِ[8] الخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقاً قَائِداً

---

١ البيان : الفصاحة والايضاح .

٢ من التبيان : أي من تبيان المعاني وإظهارها بأوضح الأوضاع والمباني . أسبغت : أتممت وأكملت . أسبلت : أرخيت .

٣ الشرة : الحدة والنشاط . والشرة أيضاً الفحش . اللسن : الفصاحة . الفضل : الزيادة ، وقد غلب جمعه على ما لا خير فيه . الهذر : الهذيان .

٤ اللكن : عيب العي . الحصر : العجز عن الكلام .

٥ الإغضاء : كف البصر عن الشيء .

٦ الانتصاب : التصدي للشيء . الإزراء القادح : الاحتقار الطاعن .

٧ سوق الشهوات : أي بعثها .

٨ الخطط : الأرض يخطها الرجل لنفسه .

إلى الرُّشْدِ . وَقَلْباً مُتَقَلِّباً مَعَ الحَقّ . وَلِسَاناً مُتَحَلِّياً بالصِّدْقِ . وَنُطْقاً مُؤيَّداً بِالحُجّـةِ . وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزَّيْغِ .[1] وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ . وَبَصِيرَةً[2] نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ القَدْرِ . وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالهِدَايَةِ . إلى الدِّرَايَةِ[3] . وَتَعْضُدَنَا بِالإِعَانَةِ . عَلَى الإِبَانَةِ . وَتَعْصِمَنَا مِنَ الغَوَايَةِ . في الرِّوَايَةِ . وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّفَاهَةِ .[4] في الفُكَاهَةِ[5] . حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ . وَنُكْفَى غَوَائِلَ الزَّخْرَفَةِ . فَلا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْثَمَةٍ . وَلا نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ . وَلا نُرْهَقَ بِتَبِعَةٍ وَلا مَعْتَبَةٍ . وَلا نُلْجَأَ إلى مَعْذِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .[6] اللّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ المُنْيَةَ . وَأَنِلْنَا هَذِهِ البُغْيَةَ . وَلا تُضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ . وَلا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً للمَاضِغِ . فَقَدْ مَدَدْنَا[7] إِلَيْكَ يَدَ المَسْأَلَةِ . وَبَخَعْنَا[8] بِالاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالمَسْكَنَةِ . وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الجَمَّ . وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ . بِضَرَاعَةِ[9] الطَّلَبِ . وَبِضَاعَةِ الأَمَلِ . بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ البَشَرِ . وَالشَّفِيعِ المُشَفَّعِ في المَحْشَرِ . الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ . وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ في عِلِّيِّينَ .[10]

---

١ ذائدة : من الذود وهو الطرد . الزيغ : الميل عن الحق الى الباطل .

٢ بصيرة : يقيناً .

٣ الدراية : اكتساب المعرفة .

٤ السفاهة : الجهل وقول الفحش .

٥ الفكاهة : المزاح وحسن الخلق .

٦ لا نرهق : لا نكلّف . المعتبة : العتب . البادرة : الكلمة والفعلة التي يبادر اليها الانسان من غير روية فتقع خطأ .

٧ لا تضحنا عن ظلك : لا تزل عنا ظل رحمتك . لا تجعلنا مضغة للماضغ : لا تجعلنا احدوثة في أفواه الناس .

٨ بخعنا : أي أذعنا وأقررنا .

٩ الضراعة : الضعف والذل .

١٠ عليين : الموضع الذي يجمع فيه أعمال الصالحين .

وَوَصَفْتَهُ في كِتَابِكَ المُبِينِ . فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً للعَالَمِينَ . أَللّهُمّ فَصَلّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الهَادِينَ . وَأَصْحَابِهِ الّذِينَ شَادُوا الدّينَ . وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدِيهِمْ[1] مُتّبِعِينَ . وَانْفَعْنَا بِمَحَبّتِهِ وَمَحَبّتِهِمْ أَجْمَعِينَ . إِنّكَ عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ . وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ . وَبَعْدُ فَإِنّهُ قَدْ جَرَى بِبَعْضِ أَنْدِيَةِ الأَدَبِ الّذِي رَكَدَتْ في هَذَا العَصْرِ رِيحُهُ . وَخَبَتْ مَصَابِيحُهُ . ذِكْرُ المَقَامَاتِ الّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزّمَانِ . وَعَلاّمَةُ هَمَذَانَ .[2] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيّ نَشْأَتَهَا . وَإِلَى عِيسَى بنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا . وَكِلاهُمَا مَجْهُولٌ لا يُعْرَفُ . وَنَكِرَةٌ لا تَتَعَرّفُ ! فَأَشَارَ مَنْ إِشَارَتُهُ حُكْمٌ[3] . وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ . إِلَى أَنْ أُنْشِيءَ مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوَ البَدِيعِ . وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظّالِعُ[4] شَأْوَ الضّلِيعِ[5] . فَذَاكَرْتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلّفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ . وَنَظَمَ بَيْتاً أَوْ بَيْتَيْنِ[6] . وَاسْتَقَلْتُ مِنْ هَذَا المَقَامِ الّذِي فِيهِ يَحَارُ الفَهْمُ . وَيَفْرُطُ الوَهْمُ . وَيُسْبَرُ غَوْرُ العَقْلِ . وَتَتَبَيّنُ قِيمَةُ المَرْءِ في[7] الفَضْلِ . وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ[8] . أَوْ جَالِبِ

---

١ الهدي : السيرة السوية .

٢ همذان ، بالذال المعجمة : بلد في عراق العجم .

٣ المراد به وزير السلطان المسعود واسمه أنوشروان بن خالد ، وقيل هو الخليفة .

٤ أتلو : أتبع ، ومصدره تلو بكسر التاء وتخفيف الواو . الظالع : الذي يغمز في مشيته . والظالع أيضاً : المائل عن الطريق القويم .

٥ الضليع : السمين القوي . والضلاعة : قوة الأضلاع .

٦ هذه اشارة الى قولهم : لا يزال المرء في فسحة من امره ما لم يقل شعراً أو يؤلف كتاباً .

٧ يسبر : يجرب ويختبر . الغور : العمق ، أي يعلم نهاية عقله .

٨ أراد به من يخلط في كلامه بين الصحيح والفاسد مثل الحاطب بالليل يخلط بين جيد الحطب ورديئه.

رَجْلٍ وَخَيْلٍ . وَقَلَّمَا سَلِمَ مِكْثَارٌ . أَوْ أُقِيلَ لَهُ عِثَارٌ . فَلَمَّا[1] لَمْ يُسْعِفْ بِالإِقَالَةِ . وَلا أَعْفَى مِنَ المَقَالَةِ . لَبَّيْتُ دَعْوَتَهُ تَلْبِيَةَ المُطِيعِ . وَبَذَلْتُ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ المُسْتَطِيعِ . وَأَنْشَأْتُ عَلَى مَا أُعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ . وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ . وَرَوِيَّةٍ نَاضِبَةٍ .[2] وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ . خَمْسِينَ مَقَامَةً[3] تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ القَوْلِ وَهَزْلِهِ . وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ . وَغُرَرِ[4] البَيَانِ وَدُرَرِهِ . وَمُلَحِ الأَدَبِ وَنَوَادِرِهِ . إِلَى مَا وَشَّحْتُهَا بِهِ مِنَ الآيَاتِ . وَمَحَاسِنِ الكِنَايَاتِ . وَرَصَّعْتُهُ[5] فِيهَا مِنَ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ . وَاللَّطَائِفِ الأَدَبِيَّةِ . وَالأَحَاجِيِّ[6] النَّحْوِيَّةِ . وَالفَتَاوَى اللُّغَوِيَّةِ . وَالرَّسَائِلِ المُبْتَكَرَةِ . وَالخُطَبِ المُحَبَّرَةِ . وَالمَوَاعِظِ المُبْكِيَةِ . وَالأَضَاحِيكِ المُلْهِيَةِ . مِمَّا أَمْلَيْتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ . وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى الحَارِثِ[7] بْنِ هَمَّامٍ البِصْرِيِّ . وَمَا قَصَدْتُ بِالإِحْمَاضِ[8] فِيهِ . إِلاَّ تَنْشِيطَ قَارِئِيهِ . وَتَكْثِيرَ سَوَادِ[9] طَالِبِيهِ . وَلَمْ أُودِعْهُ مِنَ الأَشْعَارِ الأَجْنَبِيَّةِ إِلاَّ بَيْتَيْنِ فَذَّيْنِ[10] أَسَّسْتُ عَلَيْهِمَا بُنْيَةَ المَقَامَةِ الحُلْوَانِيَّةِ . وَآخَرَيْنِ

---

١ رجل : جمع راجل وهو الماشي على رجليه . مكثار : كثير الكلام . أقيل له عثار : صفح عن عيبه وزلته .

٢ القريحة : الطبيعة . الفطنة : هي الفهم والذكاء . الروية : هي الفكرة من روّى في الامر اذا فكر .

٣ المقامة : المجلس ، والجمع مقامات .

٤ غرر جمع غرة ، وغرة كل شيء : خياره وأكرمه .

٥ الوشاح : قلادة تؤخذ من الأديم عريضة . رصعته : مكنته .

٦ الأحاجي : جمع احجية ، وهي الاغلوطة ، يختبر بها الحجى وهو العقل .

٧ تسمية الراوي بالحارث بن همام عنى بها نفسه اخذاً من قوله ، عليه الصلاة والسلام : كلكم حارث وكلكم همام .

٨ الإحماض : الانتقال من اسلوب إلى آخر .

٩ السواد : الجماعة .

١٠ الفذ : الفرد . واحد البيتين للوأواء الدمشقي والثاني للبحتري .

تَوْأَمَيْنِ ضَمَّنْتُهُمَا خَوَاتِمَ المَقَامَةِ الكَرَجِيَّةِ . وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عُذْرِهِ . وَمُقْتَضِبُ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ . هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي[1] بِأَنَّ البَدِيعَ رَحِمَهُ اللهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ . وَصَاحِبُ آيَاتٍ . وَأَنَّ المُتَصَدِّيَ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ . وَلَوْ أُوتِيَ بَلَاغَةَ قُدَامَةَ[2] . لَا يَعْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ . وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ المَسْرَى إِلَّا بِدَلَالَتِهِ . وَلِلهِ دَرُّ القَائِلِ[3] :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً ... بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي! فَهَيَّجَ لِي البُكَا ... بُكَاهَا ، فَقُلْتُ: الفَضْلُ لِلمُتَقَدِّمِ

وَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ فِي هَذَا الهَذَرِ[4] الَّذِي أَوْرَدْتُهُ . وَالمَوْرِدِ الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ . كَالبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ . وَالجَادِعِ مَارِنَهُ[5] أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . فَأَلْحَقَ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَغْمَضَ لِي الفَطِنُ المُتَغَابِي . وَنَضَحَ عَنِّي المُحِبُّ المُحَابِي . لَا أَكَادُ[6] أَخْلُصُ مِنْ غُمْرٍ جَاهِلٍ . أَوْ ذِي غَمْرٍ مُتَجَاهِلٍ . يَضَعُ مِنِّي[7] لِهَذَا الوَضْعِ . وَيُنَدِّدُ[8] بِأَنَّهُ مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ . وَمَنْ نَقَدَ الأَشْيَاءَ

---

١ خاطري : يريد به قلبه . أبو عذره : المراد انه اول قائل لهذا الكلام . المقتضب : المرتجل خطبة او شعراً .

٢ قدامة : هو أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، يضرب به المثل في الفصاحة .

٣ القائل : هو علي بن الرقاع .

٤ الهذر : الهذيان .

٥ المورد الذي تورّدته : الأمر الذي أقدمت عليه . الباحث عن حتفه بظلفه : مثل يضرب لمن يسعى في هلاك نفسه ولا يدري . الجادع : القاطع . المارن : ما لان من قصبة الأنف .

٦ أغمض : تسامح وتساهل . نضح عني : جادل عني . المحابي : من الحباء وهو العطاء .

٧ الغُمر : الذي لم يجرب الامور . الغِمر : صاحب الحقد .

٨ يندد : يشهر ويكرر بالقول .

بِعَيْنِ المَعْقُولِ . وَأَنْعَمَ النَّظَرَ فِي مَبَانِي الأُصُولِ[1] . نَظَمَ هَذِهِ المَقَامَاتِ . فِي سِلْكِ[2] الإِفَادَاتِ . وَسَلَكَهَا مَسْلَكَ المَوْضُوعَاتِ . عَنِ العَجْمَاوَاتِ وَالجَمَادَاتِ . وَلَمْ يُسْمَعْ بِمَنْ نَبَا سَمْعُهُ عَنْ[3] تِلْكَ الحِكَايَاتِ . أَوْ أَشَمَّ رُوَاتَهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ . ثُمَّ إِذَا كَانَتِ الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ . وَبِهَا انْعِقَادُ العُقُودِ الدِّينِيَّاتِ . فَأَيُّ حَرَجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحاً للتَّنْبِيهِ . لا للتَّمْوِيهِ . وَنَحَا بِهَا مَنْحَى[4] التَّهْذِيبِ . لا الأَكَاذِيبِ ؟ وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلاَّ بِمَنْزِلَةِ مَنِ انْتَدَبَ[5] لِتَعْلِيمٍ . أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؟

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الهَوَى وَأَخْلُصَ مِنْهُ لا عَلَيَّ وَلا لِيَا. وَبِاللهِ أَعْتَضِدُ . فِيمَا أَعْتَمِدُ . وَأَعْتَصِمُ . مِمَّا يَصِمُ . وَأَسْتَرْشِدُ .[6] إِلَى مَا يُرْشِدُ . فَمَا المَفْزَعُ إِلاَّ إِلَيْهِ . وَلا الاسْتِعَانَةُ إِلاَّ بِهِ . وَلا[7] التَّوْفِيقُ إِلاَّ مِنْهُ . وَلا المَوْئِلُ إِلاَّ هُوَ . عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .[8] وَبِهِ نَسْتَعِينُ . وَهُوَ نِعْمَ المُعِينُ .

---

١ فيما بنيت عليه اصول الكلام .

٢ السلك : الخيط الذي ينظم فيه الدر .

٣ العجماوات ، جمع عجماء : وهي البهيمة . نبا سمعه عنها : تباعد عنها ولم يقبلها .

٤ التمويه : هو الاتيان بقول ظاهره حسن وباطنه قبيح . نحا : قصد .

٥ ندبه إلى الامر فانتدب : دعاه له فأجاب .

٦ أعتضد : أتقوى . أعتمد : أقصد . مما يصم : مما يعيب .

٧ المفزع : الملجأ والمقصد .

٨ الموئل : المنجى . انيب : أي أتوب وارجع .

المقامة الصنعانية[1]

حَدّثَ الحَارِثُ بنُ هَمّامٍ قَالَ : لمّا اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الاغتِرَابِ .[2] وَأنْأتْني المَتْرَبَةُ عَنِ الأتْرَابِ. طَوّحَتْ بي طَوَائِحُ الزّمَنِ. إلى صَنْعَاءَ[3] اليَمَنِ . فَدَخَلْتُهَا خَاوِيَ الوِفَاضِ . بَادِيَ الإنْفَاضِ . لا أمْلِكُ[4] بُلْغَةً . وَلا أجِدُ في جِرَابي مُضْغَةً . فَطَفِقْتُ أجُوبُ طُرُقَاتِهَا[5] مِثْلَ الهَائِمِ . وَأجُولُ في حَوْمَاتِهَا جَوَلانَ الحَائِمِ[6] . وَأرُودُ في مَسَارِحِ لَحَاتي . وَمَسَايِحِ غَدَوَاتي وَرَوْحَاتي . كَرِيماً أُخْلِقُ لَهُ دِيبَاجَتي .[7] وَأبُوحُ إلَيْهِ بحَاجَتي . أوْ أدِيباً تُفَرِّجُ رُؤيَتُهُ غُمّتي . وَتُرْوِي رِوَايَتُهُ غُلّتي . حَتى أدّتْني خَاتِمَةُ المَطَافِ . وَهَدَتْني فَاتِحَةُ الألْطَافِ .[8] إلى نَادٍ رَحِيبٍ . مُحْتَوٍ عَلى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ . فَوَلَجْتُ غَابَةَ الجَمعِ . لأسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدّمْعِ . فَرَأيتُ في بُهْرَةِ الحَلْقَةِ . شَخْصاً شَخْتَ[9]

---

١ ابتدأ بها لأنه يروى ان صنعاء أول بلدة صنعت بعد الطوفان .

٢ غارب كل شيء : اعلاه . اقتعده : اتخذه قعدة . الغارب : الكاهل .

٣ المتربة : الفقر . طوحت : رمت . طوائح الزمن : خطوبه وقوادفه .

٤ خاوي : فارغ . الوفاض ، جمع وفضة : وهي خريطة من أدم يجعل فيها الراعي زاده . أنفض الرجل إذا فني زاده وماله .

٥ البلغة : ما يتبلغ به من العيش ، وهو اليسير من الزاد . المضغة : ما يمضغ .

٦ الحائم : طائر إذا اشتد به العطش ورد الماء فحام عليه حتى يغرق وهو يشرب فإن ناله الماء تساقط ريشه.

٧ اخلق له ديباجتي : ابذل له وجهي .

٨ الغلة : شدة العطش . فاتحة الألطاف : أول ألطاف الله بي .

٩ لأسبر مجلبة الدمع : لأختبر سبب البكاء . بهرة الحلقة : أي وسطها . الشخت والشخيت : الدقيق النحيف .

الخِلْقَةِ . عَلَيْهِ أُهْبَةُ السِّيَاحَةِ . وَلَهُ رَنَّةُ النِّيَاحَةِ . وَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ[1] بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ . وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلاطُ الزُّمَرِ[2] . إِحَاطَةَ الهَالَةِ بِالقَمَرِ . وَالأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ . فَدَلَفْتُ[3] إِلَيْهِ لأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ . وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي مَجَالِهِ . وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ[4] ارْتِجَالِهِ . أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلائِهِ[5] الجَامِحُ فِي جَهَالاتِهِ . الجَانِحُ إِلَى خُزَعْبِلاتِهِ . إِلامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى[6] غَيِّكَ . وَتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِكَ ؟ وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ .[7] وَلا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ ؟ تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ . مَالِكَ نَاصِيَتِكَ ![8] وَتَجْتَرِئُ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ . عَلَى عَالِمِ سَرِيرَتِكَ ! وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيبِكَ . وَأَنْتَ بِمَرْأَى رَقِيبِكَ[9] ! وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكِكَ ! أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ . إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ ؟ أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ . حِينَ تُوبِقُكَ[10] أَعْمَالُكَ ؟

---

١ يطبع الاسجاع : أي يصوغها ويرتبها وهي ما كان له فواصل كقوافي الشعر .

٢ أخلاط الزمر : أوباش مختلفون من الجماعات .

٣ الدلف : ان يمشي الشيخ مشياً رويداً ويقارب الخطو .

٤ فرائده : أي نوادره وغرائبه . خب في مجاله : اسرع في طريقته . هدرت : ارتفعت وصوتت . شقاشق، جمع شقشقة بكسر الشينين المعجمتين : وهي ما يخرجه البعير من فيه إذا هاج. ويقال للخطيب : إنه لذو شقشقة ، تشبيهاً بالفحل الكثير الهدير .

٥ السادر : الذي لا يبالي بما صنع . غلوائه : غلوّه . السادل من السدل : ارخاء الثوب وإرساله .

٦ الجامح : مأخوذ من جمح الفرس إذا مر براكبه ولم يرده اللجام . الجانح : المائل . خزعبلاته ، جمع خزعبلة : الحديث الباطل .

٧ تستمرئه : تستطيبه . زهوك : كبرك .

٨ ناصيتك : مقدم رأسك .

٩ رقيبك : عالم امرك ، وهو الله تعالى .

١٠ توبقك : تهلكك .

أوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ . إذا زَلَّتْ قَدَمُكَ ؟ أوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُكَ . يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ ؟ هَلاّ انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ[1] اهْتِدَائِكَ . وَعَجَّلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ . وَفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدَائِكَ .[2] وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ[3] فَهِيَ أكْبَرُ أعْدَائِكَ ؟ أمَا الحِمَامُ مِيعَادُكَ . فَمَا إعْدَادُكَ ؟ وَبِالمَشِيبِ إنْذَارُكَ . فَمَا أعْذَارُكَ ؟ وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ . فَمَا قِيلُكَ ؟ وَإلى اللهِ مَصِيرُكَ . فَمَنْ نَصِيرُكَ ؟ طَالَمَا[4] أيْقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ . وَجَذَبَكَ الوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ[5] ! وَتَجَلَّتْ لَكَ العِبَرُ فَتَعَامَيْتَ . وَحَصْحَصَ[6] لَكَ الحَقُّ فَتَمَارَيْتَ . وَأذْكَرَكَ المَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ . وَأمْكَنَكَ أنْ تُؤاسِيَ فَمَا آسَيْتَ ! تُؤثِرُ فَلْساً[7] تُوعِيهِ . عَلَى ذِكْرٍ تَعِيهِ . وَتَخْتَارُ قَصْراً تُعْلِيهِ . عَلَى بِرٍّ تُولِيهِ .[8] وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . إلى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . وَتُغَلِّبُ حُبَّ[9] ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ . عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ . يَوَاقِيتُ الصَّلاتِ[10] . أعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلاةِ . وَمُغَالاةُ الصَّدُقَاتِ[11] . آثَرُ عِنْدَكَ

---

١ معشرك : عشيرتك وأقاربك . انتهجت : سلكت .

٢ فللت شباة اعتدائك : أي كسرت حدة ظلمك .

٣ قدعت نفسك : كففتها ومنعتها عن القبيح .

٤ مقيلك : مصيرك ، وأصله النوم بالقائلة وهي الظهيرة . فما قيلك : فما قولك .

٥ تقاعست : تأخرت .

٦ حصحص : ظهر .

٧ تؤاسي : تحسن إلى غيرك . آسيت : أحسنت .

٨ توعيه : تجعله في وعائك . ذكر : علم من الدين . تعيه : تحفظه ، والمعنى : تقدم الدنيا على الآخرة . توليه : تعطيه .

٩ رغب عن الشيء إذا لم يرده . هاد تستهديه : تسترشده . زاد تستهديه : تطلب أن يهدى إليك .

١٠ يواقيت الصلات : نفائس العطايا .

١١ الصدقات ، جمع صدُقة : ما يعطى للنساء من المهر .

مِنْ مُوَالاةِ الصَّدَقَاتِ . وَصِحَافُ[1] الأَلْوَانِ . أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الأَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ الأَقْرَانِ . آنَسُ لَكَ مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ ![2] تَأْمُرُ بِالعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ . وَتَحْمِي عَنِ النُّكْرِ وَلا تَتَحَامَاهُ ![3] وَتُزَحْزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ . وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ[4] تَخْشَاهُ ! ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبّاً لِطَالِبِ دُنْيَا ! ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهْ[5]
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَاماً بِهَا ، وَفَرْطَ صَبَابَهْ[6]
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ ، مِمَّا يَرُومُ ، صُبَابَهْ[7]

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَّدَ عَجَاجَتَهُ . وَغَيَّضَ مُجَاجَتَهُ . وَاعْتَضَدَ[8] شَكْوَتَهُ[9] . وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَنَتِ الجَمَاعَةُ إِلَى تَحَفُّزِهِ . وَرَأَتْ تَأَهُّبَهُ لِمُزَايَلَةِ مَرْكَزِهِ . أَدْخَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ . فَأَفْعَمَ لَهُ سَجْلاً مِنْ سَيْبِهِ . وَقَالَ : اصْرِفْ هَذَا فِي نَفَقَتِكَ .[10]

---

١ صحاف ، جمع صحفة : إناء منبسط واسع .
٢ صحائف ، جمع صحيفة : من الكتب . دعابة : مزاح . الأقران ، جمع قرن : المماثل .
٣ العرف : المعروف . تنتهك : تستأصل وتبالغ في تناوله بما لا يجوز . حماه : المكان الذي منع منه تعظيماً له . تحمي : تمنع .
٤ تزحزح : تبعد . تغشاه : تأتيه .
٥ ثنى : عطف وصرف . انصبابه : ميله .
٦ استفاق من غشيته : أي رجع إلى عقله . صَبابة : رقة الشوق .
٧ الصُبابة : البقية اليسيرة من الشرب في الإناء والحوض .
٨ لبد عجاجته : سكن غبرته ، والمراد قطع كلامه . غيض مجاجته : ابتلع ريقه . اعتضد الشيء : جعله في عضده .
٩ الشكوة : قربة صغيرة .
١٠ أفعم : ملأ . السجل : هو الدلو إذا كان فيها ماء . سيبه : عطائه .

أوْ فَرِّقْهُ عَلى رُفْقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُغْضِياً[1] . وَانْثَنى عَنْهُمْ مُثْنِياً . وَجَعَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشَيِّعُهُ . لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهْيَعُهُ .[2] وَيُسَرِّبُ مَنْ يَتْبَعُهُ . لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُهُ . قَالَ الحَارِثُ بنُ[3] هَمّامٍ : فَاتَّبَعْتُهُ مُوَارِياً عَنْهُ عِيَانِي[4] . وَقَفَوْتُ أَثَرَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَرَانِي . حَتّى انْتَهَى إلى مَغَارَةٍ . فانْسَابَ فِيهَا عَلى غِرَارَةٍ . فأمْهَلْتُهُ[5] رَيْثَمَا خَلَعَ نَعْلَيْهِ . وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ . ثُمَّ هَجَمْتُ عَلَيْهِ . فَوَجَدْتُهُ مُثَافِناً لِتِلْمِيذٍ . عَلى خُبْزٍ سَمِيذٍ . وَجَدْيٍ حَنِيذٍ . وَقُبَالَتَهُمَا[6] خَابِيَةُ نَبِيذٍ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا أَيَكُونُ ذَاكَ خَبَرَكَ . وَهَذَا مَخْبَرَكَ ؟ فَزَفَرَ زَفْرَةَ القَيْظِ . وَكَادَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ . وَلَمْ[7] يَزَلْ يُحَمْلِقُ[8] إليّ . حَتّى خِفْتُ أنْ يَسْطُوَ عَلَيّ . فَلَمّا أنْ خَبَتْ نَارُهُ . وَتَوَارَى أُوَارُهُ . أنْشَدَ[9] :

لَبِسْتُ الخَمِيصَةَ أبْغِي الخَبِيصَهْ ... وَأنْشَبْتُ شِصّيَ في كلّ شِيصَهْ[10]

وَصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أُحْبُولَةً ... أُرِيغُ القَنِيصَ بِهَا وَالقَنِيصَهْ[11]

---

١ مغضياً : ضاماً جفنيه حياء .

٢ المهيع : الطريق الواضح الواسع .

٣ يسرب : يفرق . مربعه : منزله .

٤ عياني : شخصي .

٥ انساب : جرى . الغرارة : الغفلة .

٦ مثافناً : مجالساً . سميذ : حوّارى وهو الأبيض الخالص . الجدي الحنيذ : المشوي على حجارة محماة.

٧ القيظ : شدة الحر . يتميز : يتقطع ويتمزق .

٨ يحملق : يحد نظره من شدة الغيظ .

٩ خبت ناره : خمدت . توارى اواره : أي اختفى احتداده .

١٠ الخميصة : هي كساء له علمان أسودان . أبغي الخبيصة : أي اطلب الحلوى. أنشب : أوقع. الشصّ : حديدة معوجة دقيقة تسمى بالصنار . الشيص : أخبث السمك .

١١ الاحبولة: شبكة الصيد . أراغ الشيء : إذا طلبه على وجه المكر. القنيص: هو الصيد الذكر.

وَأَلْجَأَني الدّهْرُ حَتى وَلَجْتُ ... بِلُطْفِ احتيالي عَلى اللّيثِ عِيصَهْ [1]

عَلى أنّني لَمْ أهَبْ صَرْفَهُ ... وَلا نَبَضَتْ لي مِنْهُ فَرِيصَهْ [2]

وَلا شَرَعَتْ بي عَلى مَوْرِدٍ ... يُدَنِّسُ عِرْضيَ نَفْسٌ حَرِيصَهْ

وَلَوْ أنْصَفَ الدّهْرُ في حُكْمِهِ ... لَمَا مَلّكَ الحُكْمَ أهْلَ النّقيصَهْ

ثُمّ قَالَ لِيَ : ادْنُ فَكُلْ . وَإنْ شِئْتَ فَقُمْ وَقُلْ . فَالتَفَتُّ إلى تِلْمِيذِهِ وَقُلْتُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الأذَى . لَتُخْبِرَنّي مَنْ ذَا . فَقَالَ : هَذَا أبُو زَيْدٍ السَّرُوجيُّ سِرَاجُ الغُرَبَاءِ . وَتَاجُ الأدَبَاءِ . فَانصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ أتَيْتُ . وَقَضَيْتُ العَجَبَ مِمّا رَأيْتُ .

---

١ عيصه : أي بيته ومأواه

٢ صرفه : حوادثه . الفريصة : لحمة تكون تحت الكتف من شأنها انها ترعد عند الفزع .

المقامة الحُلوانيَّة

حَكَى الحَارِثُ بنُ هَمّامٍ قَالَ : كَلِفْتُ مُذْ ميطَتْ[1] عَنِّي التَّمَائِمُ . وَنِيطَتْ بِيَ العَمَائِمُ . بِأنْ أغْشَى مَعَانَ الأدَبِ . وَأُنْضِيَ[2] إلَيْهِ رِكَابَ[3] الطَّلَبِ . لأعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الأنَامِ . وَمُزْنَةً عِنْدَ الأُوَامِ . وَكُنْتُ لِفَرْطِ اللَّهَجِ بِاقْتِبَاسِهِ . وَالطَّمَعِ[4] فِي تَقَمُّصِ لِبَاسِهِ . أُبَاحِثُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ . وَأَسْتَسْقِي الوَبْلَ[5] وَالطَّلَّ . وَأَتَعَلَّلُ بِعَسَى وَلَعَلَّ . فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلْوَانَ . وَقَدْ[6] بَلَوْتُ الإخْوَانَ . وَسَبَرْتُ الأوْزَانَ . وَخَبَرْتُ مَا شَانَ وَزَانَ . أَلْفَيْتُ[7] بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الانْتِسَابِ . وَيَخْبِطُ[8] فِي أَسَالِيبِ الاكْتِسَابِ . فَيَدَّعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ . وَيَعْتَزِي[9] مَرَّةً إلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ[10] . وَيَبْرُزُ طَوْراً فِي شِعَارِ الشُّعَرَاءِ . وَيَلْبَسُ

---

١ ميطت : ازيلت ورفعت .

٢ التمائم ، جمع تميمة : وهي العوذة تعلق على الصبي . معان الأدب : موضعه . أنضاه : إذا جهده في السير فصار نضواً أي نحيفاً .

٣ الركاب : الإبل .

٤ المزنة : السحابة البيضاء . الأوام : شدة الحر والعطش . لفرط اللهج : لغاية الولوع .

٥ الطمع في تقمص لباسه : أطمع أن أتلبس بالأدب . الوبل : المطر الشديد .

٦ الطل : المطر الخفيف . حلوان : هي بلدة بين بغداد وهمذان .

٧ بلوت الاخوان : جربتهم . خبرت ما شان وزان : جربت ما قبح وما حلي .

٨ يخبط : يسير على غير هدى .

٩ آل ساسان : هم الأكاسرة وساسان أبوهم . يعتزي : ينتسب .

١٠ أقيال غسان : ملوك الشام .

حيناً كبرَ الكُبَرَاءِ . بَيْدَ أنّهُ مَعَ تَلَوّنِ حَالِهِ . وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ .[1] يَتَحَلّى بِرُوَاءٍ وَرِوَايَةٍ . وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ . وَبَلاغَةٍ رَائِعَةٍ . وَبَدِيهَةٍ[2] مُطَاوِعَةٍ . وَآدَابٍ بَارِعَةٍ . وَقَدَمٍ لأَعْلامِ العُلُومِ فَارِعَةٍ . فَكَانَ[3] لِمَحَاسِنِ آلاتِهِ . يُلْبَسُ عَلى عِلاّتِهِ . وَلِسَعَةِ رِوَايَتِهِ . يُصْبَى[4] إلى رُؤيَتِهِ . وَلِخَلابَةِ عَارِضَتِهِ . يُرْغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ . وَلِعُذُوبَةِ[5] إيرَادِهِ . يُسْعَفُ بِمُرَادِهِ . فَتَعَلّقتُ بِأهْدَابِهِ . لِخَصَائِصِ آدَابِهِ .[6] وَنَافَسْتُ فِي مُصَافَاتِهِ[7] . لِنَفَائِسِ صِفَاتِهِ .

فَكُنتُ بِهِ أجْلُو هُمُومِي وَأجتَلِي زَمَانِيَ طَلقَ الوَجْهِ مُلتَمِعَ الضِّيَا[8]
أرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَغْنَاهُ غُنْيَةً وَرُؤيَتَهُ رِيّاً وَمَحْيَاهُ لِي حَيَا ![9]

وَلَبِثْنَا عَلى ذَلِكَ بُرْهَةً . يُنْشِىءُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نُزْهَةً .[10] وَيَدْرَأُ عَنْ قَلْبِي شُبْهَةً . إلى أنْ جَدَحَتْ[11] لَهُ يَدُ الإمْلاقِ . كأسَ

---

١ تبين محاله : ظهور مكره وكذبه .
٢ الرواء : حسن المنظر والهيئة . رواية : حكاية عن الغير . مداراة : مدافعة وحسن سياسة في صحبته . دراية : علم .
٣ أعلام : جبال ، واحدها علم . فارعة : صاعدة .
٤ يلبس : يصاحب ويخالط . يصبى : يشتاق .
٥ الخلابة : الخديعة . عارضته : ما يعرض من قوله .
٦ إيراده : ما يورده من الكلام . بأهدابه : بأطراف ثيابه .
٧ مصافاته : اخلاص وده في مصاحبتي له .
٨ الضيا : الضوء والنور .
٩ قربى : من قرب النسب . مغناه : منزله . الغنية : الاكتفاء بالشيء . محياه : حياته . الحيا : المطر .
١٠ كناية عما يستفيده من علمه .
١١ جدحت : خلطت ومزجت .

الفِراقِ . وَأغْراهُ عَدَمُ العُراقِ . بِتَطْليقِ العِراقِ . وَلَفَظَتْهُ مَعاوِزُ[1] الإرْفاقِ[2] . إلى مَفاوِزِ الآفاقِ . وَنَظَمَهُ في سِلْكِ الرِّفاقِ . خُفُوقُ رايَةِ الإخْفاقِ . فَشَحَذَ للرِّحْلَةِ غِرارَ[3] عَزْمَتِهِ . وَظَعَنَ يَقْتادُ القَلْبَ[4] بِأزِمَّتِهِ .

فَمَا رَاقَني مَنْ لاقَني بَعْدَ بُعْدِهِ ... وَلا شَاقَني مَنْ سَاقَني لِوِصَالِهِ[5]

وَلا لاحَ لي مُذْ نَدَّ نِدٌّ لِفَضْلِهِ ... وَلا ذُو خِلالٍ حَازَ مِثْلَ خِلالِهِ[6]

وَاسْتَسَرَّ عَني حِيناً . لا أعْرِفُ لَهُ عَرِيناً . وَلا أجِدُ عَنْهُ مُبِيناً . فَلَمّا أُبْتُ مِنْ غُرْبَتي . إلى مَنْبِتِ شُعْبَتي . حَضَرْتُ دارَ كُتُبِها[7] الّتي هيَ مُنْتَدَى المُتَأدِّبينَ . وَمُلْتَقَى القاطِنينَ مِنْهُمْ وَالمُتَغَرِّبينَ . فَدَخَلَ ذُو لِحْيَةٍ كَثّةٍ[8] . وَهَيْئَةٍ رَثّةٍ . فَسَلَّمَ عَلى الجُلاّسِ . وَجَلَسَ في أُخْرَياتِ النّاسِ . ثُمّ أخَذَ يُبْدي مَا في وِطَابِهِ[9] . وَيُعْجِبُ الحَاضِرِينَ بِفَصْلِ خِطَابِهِ[10] . فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ : مَا الكِتَابُ الّذي تَنْظُرُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : دِيوَانُ أبي عُبَادَةَ[11] . المَشْهُودِ لَهُ بالإجَادَةِ .

---

١ أغراه : أولعه . العُراق ، جمع عرق : وهو العظم الذي يؤخذ عنه اللحم . العِراق : شاطىء البحر وبه سمي العراق عراقاً . أعوزه الدهر : إذا افقره .

٢ الإرفاق : النفع والاعانة

٣ الغرار : حد السيف .

٤ أي قلب الحارث بن همام .

٥ راقني : أعجبني . لاقني : علق بي ولزمني . ساقني : حثني .

٦ نَدّ : نفر . الخلال ، جمع خلة : المودة .

٧ الضمير في كتبها لمنبت الشعبة لأنه في معنى البلدة .

٨ لحية كثة : كثيرة الشعر .

٩ الوطاب : سقاء اللبن .

١٠ بفصل خطابه : بإظهار فصاحته .

١١ أبو عبادة : هو الوليد بن عبيد البحتري .

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيمَا لَمَحْتَهُ . عَلَى بَدِيعٍ اسْتَمْلَحْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَوْلُهُ :

كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ ![1]

فَإِنَّهُ أَبْدَعَ[2] فِي التَّشْبِيهِ . المُودَعِ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا لَلعَجَبِ . وَلَضَيْعَةِ الأَدَبِ ! لَقَدِ اسْتَسْمَنْتَ يَا هَذَا ذَا وَرَمٍ[3] . وَنَفَخْتَ فِي غَيرِ ضَرَمٍ ! أَينَ أَنْتَ مِنَ البَيْتِ النَّدْرِ . الجَامِعِ مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ؟[4] وَأَنْشَدَ :

نَفْسِي الفِدَاءُ لِثَغْرٍ رَاقَ مَبسِمُهُ وَزَانَهُ شَنَبٌ نَاهِيكَ مِن شَنَبِ[5]

يَفتَرُّ عن لُؤلُؤٍ رَطْبٍ وَعن بَرَدٍ وَعن أَقاحٍ وَعن طَلْعٍ وَعن حَبَبِ[6]

فاستَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلاهُ . وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلاهُ . وَسُئِلَ : لِمَنْ هَذَا البَيْتُ . وَهَلْ حَيٌّ قَائِلُهُ أَوْ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : أَيْمُ اللهِ لَلحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ . وَلَلصِّدْقُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُسْتَمَعَ ! إِنَّهُ يَا قَوْمُ . لِنَجِيِّكُمْ مُنْذُ اليَوْمَ . قَالَ : فَكَأَنَّ الجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِعَزْوَتِه . وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِه . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ[7] فِي أَفْكَارِهِمْ . وَفَطِنَ لِمَا بَطَنَ مِنِ اسْتِنْكَارِهِمْ . وَحَاذَرَ أَنْ

---

١ منضد : منظوم بعضه على بعض . أقاح : جمع أقحوان ، يشبه به الثغر .

٢ أبدع : جاء بالبديع .

٣ أي رأيت صاحب الورم سميناً .

٤ نفخت في غير ضرم : مثل يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه . الندر : النادر الغريب .

٥ الشنب : هو رقة الاسنان أو برد ريقها . وقوله : ناهيك الخ ... أي حسبك .

٦ الطلع : طلع النخل وهو أبيض . الحبب : ما يظهر كالحب فوق الكأس عند امتلائها .

٧ بعزوته : بنسبته البيت إليه . توجس : علم بالدليل والتفرس . هجس : خطر .

يَفْرُطَ[1] إلَيْهِ ذَمٌّ . أوْ يَلْحَقَهُ وَصْمٌ . فَقَرَأَ : إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ ثُمّ قَالَ : يَا رُوَاةَ القَرِيضِ . وَأُسَاةَ القَوْلِ المَرِيضِ . إنّ خُلاصَةَ[2] الجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ . وَيَدَ الحَقّ تَصْدَعُ رِدَاءَ الشّكّ[3] . وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزّمَانِ : عِنْدَ الامْتِحَانِ . يُكْرَمُ الرّجُلُ أوْ يُهَانُ . وَهَا أنَا قَدْ عَرّضْتُ خَبِيئَتِي لِلاخْتِبَارِ . وَعَرَضْتُ حَقِيبَتِي عَلَى الاعْتِبَارِ . فَابْتَدَرَ . أحَدُ مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ : أعْرِفُ بَيْتاً لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَالِهِ . وَلا سَمَحَتْ قَرِيحَةٌ بِمِثَالِهِ . فَإنْ آثَرْتَ اخْتِلابَ القُلُوبِ[4] . فَانْظِمْ عَلَى هَذَا الأسْلُوبِ . وَأنْشَدَ :

فأمطَرَتْ لؤلؤاً من نَرْجِسٍ وَسقَتْ ... وَرْداً وَعَضّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ[5]

فَلَمْ يَكُنْ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ . حَتّى أنْشَدَ فَأغْرَبَ[6] :

سألتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِها ... قَانِي وَإيدَاعَ سَمْعِي أطْيَبَ الخَبَرِ[7]

فَزَحْزَحَتْ شَفَقاً غَشّى سَنَا قَمَرٍ ... وَسَاقَطَتْ لُؤْلُؤاً من خاتَمٍ عَطِرِ[8]

---

١ يفرط : يسبق .

٢ القريض : الشعر والمدح . أساة ، جمع آسٍ : وهو الطبيب .

٣ ان الحق يكشف عن الشك ويزيل لبسه .

٤ اختلاب القلوب : إمالتها .

٥ شبه الدمع باللؤلؤ والعين بالنرجس والوجنات بالورد والأنامل المخضوبة بالعناب والثنايا بالبرد.

٦ أغرب : أتى بالغريب .

٧ زارت نضو برقعها : أي كشفه وإزالته وهو ما ترسله المرأة على وجهها . القاني : الشديد الحمرة .

٨ شفقاً أي برقعاً شبيهاً بالشفق: وهو الحمرة بعد الغروب إلى أول وقت العشاء . السنا، بالقصر : النور ، وكنى بالقمر عن وجهها وباللؤلؤ المتساقط عن كلامها وبالخاتم العطر عن فمها .

فَحَارَ الحَاضِرُونَ لِبَدَاهَتِهِ . وَاعْتَرَفُوا بِنَزَاهَتِهِ[1] . فَلَمَّا آنَسَ اسْتِئْنَاسَهُمْ بِكَلَامِهِ . وَانْصِبَابَهُمْ إلى شِعْبِ إكْرَامِهِ .[2] أطْرَقَ كَطَرْفَةِ العَيْنِ . ثُمَّ قَالَ : وَدُونَكُمْ بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ . وَأنْشَدَ :

وَأقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ البَيْنُ في حُلَلٍ ... سودٍ تَعَضُّ بَنَانَ النَّادِمِ الحَصِرِ[3]

فَلاحَ لَيْلٌ عَلى صُبْحٍ أقَلَّهُمَا ... غُصْنٌ وَضَرَّسَتِ البِلَّوْرَ بالدُّرَرِ[4]

فَحِينَئِذٍ اسْتَسْنَى القَوْمُ قِيمَتَهُ . وَاسْتَغْزَرُوا دِيمَتَهُ .[5] وَأجْمَلُوا عِشْرَتَهُ . وَجَمَّلُوا قِشْرَتَهُ[6] . قَالَ المُخْبِرُ بِهَذِهِ الحِكَايَةِ : فَلَمَّا رَأيْتُ تَلَهُّبَ جَذْوَتِهِ . وَتَأَلُّقَ جَلْوَتِهِ . أمْعَنْتُ النَّظَرَ في[7] تَوَسُّمِهِ . وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ في مَيْسَمِهِ[8] . فإذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيّ . وَقَدْ أقْمَرَ لَيْلُهُ الدَّجُوجِيّ[9] . فَهَنَّأتُ نَفْسِي بِمَوْرِدِهِ . وَابْتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ . وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أحَالَ صِفَتَكَ . حَتَّى جَهِلْتُ[10] مَعْرِفَتَكَ ؟ وَأيَّ شَيْءٍ شَيَّبَ لِحْيَتَكَ . حَتَّى أنْكَرْتُ حِلْيَتَكَ ؟

---

١ بنزاهته : ببراءته من الريبة .

٢ آنس : علم . انصبابهم : ميلهم واسراعهم .

٣ البين : الفراق . الحصر : الذي لا يمكنه التكلم من البكاء والغيظ .

٤ أراد بالليل الشعر ، وبالصبح الوجه . أقلهما : رفعهما وحملهما. وأراد بالغصن القد ، وبالبلور البنان أو ظهر الكف ، وبالدرر الثنايا .

٥ استسنى : من السناء العلو والرفعة . استغزروا ديمته : استكثروا فضله .

٦ زينوا لباسه .

٧ الجذوة : جمرة نار غير ملتهبة . التألق : الإضاءة واللمعان . الجلوة : اسم من جلوت العروس اذا زينتها ، يريد لمعان وجهه .

٨ الميسم : أثر الحسن من الوسامة .

٩ عبارة عن الشيب .

١٠ ابتدرت استلام يده : أسرعت إلى مصافحته . أحال صفتك : غيرها من الشباب إلى الشيب .

فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَقْعُ الشَّوَائِبِ شَيَّبْ ... وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلَّبْ[1]

إِنْ دَانَ يَوْماً لِشَخْصٍ ... فَفِي غَدٍ يَتَغَلَّبْ[2]

فَلَا تَثِقْ بِوَمِيضٍ ... مِنْ بَرْقِهِ فَهْوَ خُلَّبْ[3]

وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى ... بِكَ الخُطُوبَ وَأَلَّبْ[4]

فَمَا عَلَى التِّبْرِ عَارٌ ... فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبْ ![5]

ثُمَّ نَهَضَ مُفَارِقاً مَوْضِعَهُ . وَمُسْتَصْحِباً القُلُوبَ مَعَهُ .

---

١ الشوائب : الأهوال والحوادث . قلّب : كثير التقلب .

٢ دان : خضع .

٣ وميض البرق : لمعانه . والبرق الخلب : الذي لا غيث فيه .

٤ أضرى : أغرى . ألب : جمع الجموع .

٥ التبر : الذهب قبل تصفيته .

المقامة الدينارية

رَوَى الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخْدَاناً لي نَادٍ . لَمْ[1] يَخِبْ فِيهِ مُنَادٍ . وَلا كَبَا قَدْحُ زِنَادٍ . وَلا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ .[2] فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ الأَنَاشِيدِ . وَنَتَوَارَدُ طُرَفَ[3] الأَسَانِيدِ . إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ . وَفِي مِشْيَتِهِ قَزَلٌ . فَقَالَ :[4] يَا أَخَايِرَ الذَّخَائِرِ . وَبَشَائِرَ العَشَائِرِ . عِمُوا صَبَاحاً . وَأَنْعِمُوا اصْطِبَاحاً . وَانْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ ذَا نَدِيٍّ وَنَدًى . وَجِدَةٍ وَجَدًا .[5] وَعَقَارٍ وَقِرًى . وَمَقَارٍ وَقِرًى . فَمَا زَالَ بِهِ قُطُوبُ الخُطُوبِ .[6] وَحُرُوبُ الكُرُوبِ . وَشَرَرُ[7] شَرِّ الحَسُودِ . وَانْتِيَابُ النُّوَبِ السُّودِ . حَتَّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ . وَقَرِعَتِ السَّاحَةُ . وَغَارَ المَنْبَعُ . وَنَبَا المَرْبَعُ .[8] وَأَقْوَى المَجْمَعُ . وَأَقْضَّ المَضْجَعُ . وَاسْتَحَالَتِ الحَالُ . وَأَعْوَلَ[9]

---

١ نظمني : جمعني . الأخدان ، جمع خِدن : الحبيب .

٢ كبا الزند : لم يور ناراً إذا قدح به ، أي لا يرجع قاصدهم إلا بحاجته . ولا ذكت : ولا اشتعلت .

٣ طرف ، جمع طرفة : حديث مستملح .

٤ سمل : ثوب خلق . القزل : نوع من العرج .

٥ الاصطباح : الشرب وقت الصباح . ندي : مجلس . ندى : جود . جدة : غنى . جداً : عطية .

٦ المقار : الجفنة العظيمة . قرى : ضيافة .

٧ شرر : جمع شرارة .

٨ صفرت الراحة : خلت اليد . قرعت الساحة : ذهب ما كان فيها . نبا المربع : بعد المنزل ولم يمكن المقام به .

٩ أقوى المجمع : أي خلا من القوم . أقض المضجع : أي خشن .

العِيَالُ . وَخَلَتِ المَرَابِطُ . وَرَحِمَ الغَابِطُ . وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ .[1] وَرَثَى لَنَا الحَاسِدُ وَالشَّامِتُ . وَآلَ بِنَا الدَّهْرُ المُوقِعُ . وَالفَقْرُ المُدْقِعُ . إلى أنِ احْتَذَيْنَا الوَجَى . وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَا . وَاسْتَبْطَنَّا[2] الجَوَى[3] . وَطَوَيْنَا الأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى . وَاكْتَحَلْنَا السُّهَادَ . واستَوْطَنَّا الوِهَادَ . وَاسْتَوْطَأْنَا القَتَادَ . وَتَنَاسَيْنَا الأَقْتَادَ . وَاسْتَطَبْنَا الحَينَ[4] المُجْتَاحَ . وَاسْتَبْطَأْنَا اليَوْمَ المُتَاحَ . فَهَلْ مِنْ حُرٍّ آسٍ . أَوْ سَمْحٍ مُوَاسٍ ؟ فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَهْ . لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلَهْ .[6] لا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَهْ . قَالَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَأَوَيْتُ لِمَفَاقِرِهِ .[7] وَلَوَيْتُ إلى اسْتِنْبَاطِ فِقَرِهِ[8] . فَأَبْرَزْتُ دِينَاراً . وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَاراً : إنْ مَدَحْتَه نَظْماً . فَهُوَ لَكَ حَتْماً . فَانْبَرَى يُنْشِدُ في الحَالِ . مِنْ غَيرِ انْتِحَالٍ[9] :

أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهْ ... جَوَّابَ آفَاقٍ تَرَامَتْ سَفْرَتُهْ[10]

مَأْثُورَةٌ سُمْعَتُهُ وَشُهْرَتُهْ ... قَدْ أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أَسِرَّتُهْ[11]

---

١ الغابط : الذي يتمنى أن يكون له ما لمغبوطه . أودى : هلك . الناطق : الماشية . الصامت : الذهب والفضة .

٢ الوجى : رقة القدم من كثرة المشي . الشجا : عظم يعترض في الحلق .

٣ الجوى : شدة الوجد .

٤ الوهاد : ما انخفض من الأرض . القتاد : شجر له شوك . الأقتاد : الإبل تشتكي من أكل القتاد . استطبنا الحين : رأينا الهلاك طيباً .

٥ المجتاح : المستأصل . اليوم المتاح : هو اليوم المقدر بالموت .

٦ قيلة : بنت الأرقم الغسانية وهي أم الأوس والخزرج جميعاً . أخو عيلة : صاحب فقر .

٧ بيت ليلة : قوت ليلة . أويت لمفاقره : أي رققت لها ، والمفاقر جمع مفقرة بمعنى الفقر .

٨ الفقر : الحكم والكلمات المستحسنة .

٩ الانتحال : نسبة شعر الغير إلى نفسه .

١٠ ترامت سفرته : بعدت سفرته .

١١ الأسرّة : خطوط الجبهة وعنى بها النقوش التي في الدينار .

وَقَارَنَتْ نُجْحَ المَسَاعي خَطْرَتُهْ ... وَحُبِّبَتْ إلى الأنَامِ غُرَّتُهْ[1]

كَأنَّمَا مِنَ القُلُوبِ نُقْرَتُهْ ... بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهْ[2]

وَإنْ تَفَانَتْ أوْ تَوَانَتْ عِتْرَتُهْ ... يَا حَبَّذَا نُضَارُهُ وَنَضْرَتُهْ ![3]

وَحَبَّذَا مَغْنَاتُهُ وَنَصْرَتُهْ ! ... كَمْ آمِرٍ بِهِ اسْتَتَبَّتْ إمْرَتُهْ[4]

وَمُتْرَفٍ لَوْلاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهْ ... وَجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهْ ![5]

وَبَدْرِ تِمٍّ أنْزَلَتْهُ بَدْرَتُهْ ... وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَظَّى جَمْرَتُهْ[6]

أسَرَّ نَجْوَاهُ فَلانَتْ شِرَّتُهْ ! ... وَكَمْ أسِيرٍ أسْلَمَتْهُ أُسْرَتُهْ[7]

أنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهْ ... وَحَقَّ مَوْلًى أبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهْ[8]

لَوْلا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهْ !

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ . بَعْدَمَا أنْشَدَهُ . وَقَالَ : أنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ . وَسَحَّ خَالٌ[9] إذْ رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إلَيْهِ . وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأسُوفٍ عَلَيْهِ . فَوَضَعَهُ في فِيهِ . وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ! ثُمَّ

.....

١ أراد بنجح المساعي : قضاء الحوائج وانها مقارنة لخطرته وحركته . غرته : وجهه .

٢ النقرة : ما سبك من الذهب أو الفضة .

٣ تفانت : هلكت . عترته : أقاربه وعشيرته ، والضمير يعود على من . النضار : الذهب . نضرته : بهجته وحسنه .

٤ مغناته : غناه وكفايته . إمرته : إمارته .

٥ الكرة والكر : الحملة على الفارس في الحرب .

٦ البدرة : عشرة آلاف دينار ، أي أن الكثير من الدنانير ينال به كل مستصعب . مستشيط : محتد محترق من كثرة الغضب .

٧ أسرّ نجواه : أخفى مناجاته . شرته : نشاطه وحدته .

٨ أبدعته : اخترعته . فطرته : من فطرت الشيء إذا ابتدعته .

٩ سح خال : أي قطر سحاب .

شَمَّرَ[1] لِلانْثِنَاءِ . بَعْدَ تَوْفِيَةِ الثَّنَاءِ . فَنَشَأَتْ لي مِنْ فُكَاهَتِهِ نَشْوَةُ غَرَامٍ . سَهَّلَتْ عَلَيَّ ائْتِنَافَ اغْتِرَامٍ . فَجَرَّدْتُ دِينَاراً[2] آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ في أَنْ تَذُمَّهُ . ثُمَّ تَضُمَّهُ ؟ فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلاً . وَشَدَا عَجِلاً :

تَبّاً لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَاذِقِ ... أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَالْمُنَافِقِ ![3]

يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ ... زِينَةِ مَعْشُوقٍ وَلَوْنِ عَاشِقِ[4]

وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الحَقَائِقِ ... يَدْعُو إلى ارْتِكَابِ سُخْطِ الخَالِقِ

لَوْلاهُ لَمْ تُقْطَعْ يَمِينُ سَارِقِ ... وَلا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ[5] مِنْ فَاسِقِ

وَلا اشْمَأَزَّ بَاخِلٌ مِنْ طَارِقِ ... وَلا شَكَا المَمْطُولُ[6] مَطْلَ العَائِقِ

وَلا اسْتُعِيذَ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقِ[7] ... وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الخَلائِقِ

أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ في المَضَايِقِ ... إلاَّ إذَا فَرَّ فِرَارَ الآبِقِ

وَاهاً لِمَنْ يَقْذِفُهُ مِنْ حَالِقِ[8] ... وَمَنْ إذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الوَامِقِ

قَالَ لَهُ قَوْلَ المُحِقِّ الصَّادِقِ : ... لا رَأْيَ في وَصْلِكَ لي فَفَارِقِ !

---

١ شمر : جَمَعَ ذيله وشمر عن ساقه .

٢ نشوة غرام : سكرة عشق دائم . ائتناف : استئناف واستقبال . غرم الرجل واغترم إذا لزمه المغرم والغرامة .

٣ تبّاً : خسراً وهلاكاً . المماذق : من لا يصافي الود . أصفر ذي وجهين : كناية عن نقشه من الجانبين .

٤ الرامق : الناظر إلى الشيء . زينة معشوق : أي ملاحته وهو نقشه . لون عاشق : أي صفرته .

٥ المظلمة : الظلم .

٦ الممطول : صاحب الدّين . المطل : تأخير الدّين . العائق : مانع أداء الدّين .

٧ راشق : رام بعينيه . الخلائق ، جمع خليقة : العادة والطبيعة .

٨ من حالق : من جبل مرتفع . من ناجاه معطوف على من يقذفه ، والمناجاة : المسارة . الوامق : المحب .

فَقُلْتُ لَهُ : مَا أغْزَرَ وَبْلَكَ ! فَقَالَ : وَالشَّرْطُ أمْلَكُ .[1] فَنَفَحْتُهُ بِالدِّينَارِ الثَّانِي . وَقُلْتُ لَهُ : عَوِّذْهُمَا بِالمَثَانِي[2] . فَألْقَاهُ فِي فَمِهِ . وَقَرَنَهُ بِتَوْأمِهِ . وَانْكَفَأ يَحْمَدُ مَغْدَاهُ . وَيَمْدَحُ[3] النَّادِيَ وَنَدَاهُ . قَالَ الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ : فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأنَّهُ أبُو زَيْدٍ . وَأنَّ تَعَارُجَهُ لِكَيْدٍ . فَاسْتَعَدْتُهُ[4] وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عُرِفْتَ بِوَشْيِكَ[5] . فَاسْتَقِمْ فِي مَشْيِكَ . فَقَالَ : إنْ كُنْتَ ابنَ هَمَّامٍ . فَحُيِّيتَ بِإكْرَامٍ . وَحَيِيتَ بَيْنَ كِرَامٍ ! فَقُلْتُ : أنَا الحَارِثُ . فَكَيْفَ حَالُكَ وَالحَوَادِثَ ؟ فَقَالَ : أتَقَلَّبُ فِي الحَالَيْنِ بُؤسٍ وَرَخَاءٍ . وَأنْقَلِبُ مَعَ الرِّيحَيْنِ زَعْزَعٍ وَرُخَاءٍ . فَقُلْتُ : كَيْفَ[6] ادَّعَيْتَ القَزَلَ ؟ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ . فَاسْتَسَرَّ[7] بِشْرُهُ الَّذِي كَانَ تَجَلَّى . ثُمَّ أنْشَدَ حِينَ وَلَّى :

تَعَارَجْتُ لا رَغْبَةً فِي العَرَجْ ... وَلَكِنْ لأقْرَعَ بَابَ الفَرَجْ !
وَأُلْقِيَ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي ... وَأسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجْ[8]
فَإنْ لامَنِي القَوْمُ قُلْتُ اعذِرُوا ... فَلَيْسَ عَلَى أعْرَجٍ مِنْ حَرَجْ[9] !

---

١ الوبل : المطر الكبير . وغزارته : كثرته . الشرط أملك : مثل يضرب في حفظ الشرط .
٢ المثاني : فاتحة الكتاب لأنها تثنى في الصلوات .
٣ قرنه بتوأمه : أي قرنه بالدينار الأول . انكفأ : انقلب وانعطف . مغداه : غدوه .
٤ استعدته : أي طلبت عودته ورجوعه .
٥ بوشيك : بما أبديت من مستحسن كلامك الشبيه بالوشي وهو النقش .
٦ الرّخاء : سعة العيش وسهولته . أنقلب مع الريحين زعزع ورُخاء : أداري أمري مع الصعوبة والسهولة .
٧ القزل : سوء العرج . استرّ : اختفى .
٨ ألقى حبله على غاربه : مثل يضرب في تخلية الشيء يذهب في هواه كيف شاء . مرج : خلط ولم يستقم على حالة واحدة .
٩ أي ليس عليه ضيق .